هذا ، فان الطرف الاصغر (نظريا) استطاع خلال السنوات الثلاثين الماضية بناء « الدولة ـ الثكنة » ، والدفاع عنها ، وتوسيع المناطق التي تحتلها ماديا ونفسيا · ولا يزال هذا الطرف متمتعا بالقدرة على التهديد باحتلال اراض جديدة ، او شن العمليات الانتقامية وراء جدار الاسلاك الشائكة التي نصبها على طول الخط الذي وصلت اليه قواته ·

ورغم الضربة التي تلقتها العسكرية الاسرائيلية في تشرين ١٩٧٣ ، فأن أمن الدولة الصهيونية لم يتهدد بشكل جدي ، كما ان الجزء الاكبر من الاراضي العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧ لا يزال تحت الاحتلال ، الامر الذي يدل على ان هناك تباينا بين التقييمين النظري والعملي للقوى المتجابهة ، وان الطرف الاصغر نظريا لا يحمل الصفة نفسها على الصعيد العملي ، بدليل وجوده على ارض الغير بعد مرور ١١ عاما على حرب ١٩٦٧ ، وعدم توافر الدلائل التي تشير الى امكانية انتزاع هذه الارض منه بالقوة في المستقبل المنظور ، ناهيك عن امكانية تحقيق الهدف العادل المتمثل بتصفية رأس الجسر الامبريالي المحدد بخطوط هدنة رودس ١٩٤٩ ، وبناء الدولة الديمقراطية على ارض فلسطين ·

فما هو الخلل الذي أدى الى التباين بين التقييمين النظري والعملي ، وسمح للطرف الاضعف بان يتحول الى طرف اقوى ، واعطى الدولة الصهيونية بالتالي الامل بلعب دور الدولة الاستعمارية الكبرى في المنطقة ؟ هذا ما سنحاول اظهاره في هذه الدراسة ، من خلال استعراض الخطوط الاستراتيجية العامة للصراع ، مع التركيز على المسائل العسكرية بشكل خاص ·

وقد يتبادر الى الذهن اننا سنلقي ـ كما يفعل الكثيرون ـ تهمة احداث الخلل على عاتق الامبريالية التي خلقت اسرائيل لتحقيق اغراضها ، ودعمتها بكل وسائل الحياة والقوة ، ولكننا لن نفعل ذلك ، ولن نركز كثيرا على الدور المعروف للامبريالية ، رغم اهمية هذا الدور ، بل سننظر الى المسائل من زاوية اخرى ، محاولين البحث عن العوامل الذاتية الكامنة وراء الخلل · ويرجع موقفنا هذا الى سببين :

★ اولهما ان صراعات الشعوب ، ليس ضد جيش محلي تدعمه الامبريالية (كما هي الحالة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي) ، بل ضد جيوش الامبريالية ذاتها ، قد اثبتت بشكل ملموس ان الامبريالية لا تمثل قوة لا تقهر ، اذا ما توافرت الظروف الذاتية الضرورية لمجابهتها · وان من الخطأ اعتبار مجرد وجودها كافيا لتبرير هزيمة خصومها ·

★ والسبب الثاني ، هو ان الامبريالية لا تخترق الصف العربي بقوى مستوردة ، ولكنها تستند الى الوضع العربي الذاتي الذي يقدم لها امكانات